رجال غيروا وجه التاريخ الإنسانى

صفوة النابهين

سياسيون حول الرسول

أول سفير فى الإسلام

• مصعب بن عمير •

obeikandl.com

obeikandl.com

العظمة الباهرة لأولئك الرجال من أصحاب الرسول الكريم ﷺ . . تبدو فى إعجازها كالأساطير، وبقدر ما بذلوا فى سبيل التفوق والعطاء. . ولكنها حقائق ترسم صورة شخصيات تسمو وتتألق، وبقدر ما نذروا حياتهم وعقدوا عزمهم ونواياهم على غاية سامية من التضحية والعطاء، وإذا كانت هناك أساطير أو معجزات، فهى تتمثل فى تلك القدرة النفسية الهائلة التى صاغوا بها فضائلهم وتضحياتهم. . وقد امتلأت قلوبهم يقينا وعزما، حتى أن غرة فتيان مكة وأعطرهم وأوفاهم بهاء وجمالا وشبابا، وأول سفير فى الإسلام بعد ذلك، يتقبل عن رضا أن يضحى بكل النعم التى شب تحت خمائلها، ولا يرتد عن الإسلام تحت ضغط وتهديد أمة ,وهى من أقوى شخصيات نساء مكة. .

هؤلاء الذين عاصروا الرسول ﷺ : وآمنوا به ونصروه، قد جاءوا الحياة فى أوانهم المرتب ـ حقا ـ ومن بينهم كان سياسيون ومفكرون، ورجال أعمال، وعسكريون، بارزون، وخبراء إستراتيجيون فى زمنهم، وهم جميعا كانوا فرسانا اقتحموا المعارك وانتصروا. . واقتحموا الحياة بعقيدة الإسلام وفازوا بما أنعم الله عليهم من ثراء. . وفى الجملة قد أنجزوا ما يشبه المعجزات فى بضع سنين، حتى أن ذلك الفتى المتأنق المعطر. . فتى قريش المدلل "مصعب بن عمير" أو مصعب الخير كما كان يطلق عليه المسلمون، يتولى فى وقت بالغ الخطورة، وفى لحظات مفصلية من تاريخ الإسلام، وفى أجواء أشد قسوة على المسلمين الأوائل. . يتولى مهمة أول سفير فى الإسلام، ويحقق ما يشبه المعجزات فى بضع شهور فقط ، وهو الفتى الذى واجه تحديات وضغوطا أشد بأسا على

النفس الإنسانية!! كيف صاغت هذه الظروف رؤيته وفكره وحكمته وصبره مع رجاحة عقله، حتى يختاره الرسول العظيم ﷺ لأخطر مهمة فى الإسلام.. وهى المهمة الفاصلة التى سوف تحدد مصير الإسلام؟!

....

....

فتى قريش المدلل ،وأعطر أهل مكة، خرج من النعمة الوارفة التى كان يعيش فيها، مؤثراً الشظف والفاقة، وقد ترك مباهج الحياة والثروة بعد أن حبسته أمه "خناس بنت مالك "فى الدار، وهى التى كانت تهاب إلى حد الرهبة.. وحرمته من الثروة، وظل رهين محبسه، حتى غافل أمه وحراسه، ومضى إلى الحبشة مهاجرا مع المهاجرين الأوائل، ويعود إلى مكة مع أصحابه، والأحوال كما هى: حصار ومعاناة، ومطاردات من رؤس الشرك.. ويأمر الرسول بالهجرة مرة أخرى إلى الحبشة، ويهاجر مصعب بن عمير الهجرة الثانية، ثم يعود إلى مكة، وقد تغيرت تماما صورة فتى قريش المتأنق المعطر، وحين خرج يوما على بعض المسلمين حنوا رؤوسهم وغضوا أبصارهم، وبعضهم ذرفت دموعه دما، عندما رآوه يرتدى ثوبا باليا، وتملى رسول الله ﷺ مشهده وقال: "لقد رأيت مصعب هذا، وما بمكة فتى أنعم عند أبويه منه، لقد ترك ذلك حبا لله ورسوله "

.....

وهكذا.. عاد مصعب من هجرته الثانية، والإسلام لايزال غضا وليدا، يكاد يكون مستخفيا وهو يواجه مشاق وملاحقات طغاة الكفر فى مكة.. وفى هذه الأجواء الملبدة بعداءات ومشاحنات وجبروت

المشركين.. يأتى وفد من المدينة وعددهم لا يتجاوز اثنى عشر مسلما فقط، ويبايعون النبى ﷺ سرا "بيعة العقبة الأولى" ويطلبوا من الرسول ﷺ أن يرسل إليهم من يفقههم فى الدين.. ويفكر الرسول الكريم ﷺ فى هذه المهمة وفى صاحبها.. من يتولى أخطر قضايا الساعة.. أخطر مهمة فى الإسلام، وهى المهمة الفاصلة التى سوف تحدد مصير الإسلام.. كيف؟! إذا نجحت مهمة أول سفير فى الإسلام، فإن الدين الجديد سوف ينطلق إلى آفاق جديدة، ومواقع جديدة، وأن تكون المدينة "يثرب "هى قاعدة دولة الإسلام، ومنها تخرج أفواج الدعوة لنشر الإسلام.. أما إذا فشلت المهمة فإن الإسلام سيظل محاصرا بين شعاب ووديان مكة، ومحاصرا بفنون وممارسات التعذيب والمطاردات..

إذن.. من يتولى أخطر مهمة فى الإسلام، وهو لايزال غضا يواجه جبروت وقسوة طغاة الكفر؟! من الأجدر بتولى مهمة أول سفير فى الإسلام ؟!

ويختار الرسول ﷺ مصعب بن عمير من بين أصحابه الأجلاء، ومن بينهم من هو أكبر سنا من مصعب، وأكثر جاها، وأقرب للرسول ﷺ نسبا وصداقة.. وقد جاء الاختيار على أسس ومعايير يعلمها الرسول الكريم ﷺ ،وتؤهل الشاب الذى كان فتى قريش المدلل، لتولى المهمة، ومن رجاحة عقل، وخلق كريم، وفطنة، ودبلوماسية التحاور مع الآخرين.. ومن مبادئ العلوم السياسية أن الدبلوماسية هى عملية الاتصال بين مجموعات من البشر، وممارسة السلوك الكامل دون أن يبدو على المرء الجمود أو الصرامة، وكذلك الحرص على إعطاء الانطباع لدى من يحيطون بالشخص بأنهم حسنو السلوك.. وكان

مصعب بن عمير ـ أول سفير فى الإسلام ـ على وعى بالقواعد التى تفرضها أصول الدين ، وهى فى المجال الدبلوماسى:

(١) لا يتحدث المرء إلا فيما يعنيه أمره..

(٢) أن يكون كلام المسلم واضحا وبينا، بحيث يفهمه المخاطب به بلا لبس..

(٣) أن يكون المسلم هاشا باشا فى وجه من يلقاه أو يتعرف عليه..

(٤) ألا يواجه من يتعاملون معه بما يكرهون..

(٥) أن الإسلام الحق فى السلوك والتصرف والتعامل.. ثم أن "مصعب الخير "كان يعرف رسالته تماما ويقف عند حدودها..

....

....

كانت هناك تقاليد إسلامية تلقاها السياسيون من أصحاب الرسول ﷺ على يده الكريمة مع بدايات الإسلام، ويقول الدكتور محمد نعمان جلال ـ مساعد وزير الخارجية المصرى الأسبق، ومستشار الدراسات السياسية والإستراتيجية فى كتابه (البروتوكول والدبلوماسية) أن الدبلوماسية فى التقاليد الإسلامية، وقواعد البروتوكول، وآداب السلوك والأخلاق فى الإسلام، سبقت الحضارة الغربية، وأن التقاليد الإسلامية فى مجال البروتوكول، وآداب السلوك ، هما سميتان بالغتا الأهمية للعمل الدبلوماسى بوجه عام، وأنه فى إطار المصطلحات الإسلامية فإن البروتوكول هو قواعد المعاملات بين الناس، أما "الأتيكيت" فهو آداب السلوك، وأما المجاملة فهى المودة والكياسة، أى مجموع واجباتنا نحو

الآخرين..

وهذه التقاليد والتربية الإسلامية، أضافت فكرا ووعيا ورؤية أشمل، لكل من تولى مهمة سياسية فى عهد الرسول ﷺ، ومن بينهم أول سفير فى الإسلام ـ مصعب بن عمير ـ والذى انطلق إلى مهمته فى المدينة وهو على وعى بخصائص ثلاث فى المهمة السياسية: الأولى الواقعية فى تحديد الأهداف والوسائل.. والثانية: التدريج سعيا نحو تحقيق هذه الأهداف.. والثالثة: الأخذ فى الحسبان احترام الخصائص وسلوك الآخرين، وكيفية التصرف فى المواقف المختلفة..

كان الهدف المحدد هو الدعوة إلى الإسلام، وتمهيد الأجواء وإعداد المدينة ليوم الهجرة العظيم، وأن يستقبل أهل المدينة بعد دخولهم الإسلام، الرسول الكريم، أنصارا ودعاة للإسلام فى مدينة الرسول ﷺ.. وكان عدد المسلمين فى المدينة مع بداية مهمة أول سفير فى الإسلام اثنى عشر مسلما، ثم بدأ التدرج سعيا نحو تحقيق الأهداف، فاتجه الصحابى الجليل "مصعب بن عمير" إلى القبائل والمجالس والندوات وبيوت المدينة يبشر بالدين الجديد، ويتلو على الناس ما معه من كتاب الله، ويدعو برفق إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له.. كان رضي الله عنه.. يعرف رسالته تماما..

وكانت تجربة إيمانه، تمارس تفوقها فى كل مكان، ومع صدق عزمه إذا هم وعزم.. رغم أن الأمر لم يكن سهلا وميسورا.. وهو يبشر بالدين الجديد بين الناس فى المدينة، ويدعوهم إلى الهدى، يدعو إلى حياة جديدة، وسلوك جديد، ومعتقدات جديدة، تشطب كل ما سبق من معتقدات وعادات وسلوكيات الجاهلية، دعوة للانتقال من حياة إلى حياة

أخرى، وحتى يعد المدينة لاستقبال الرسول الكريم ﷺ مهاجرا من مكة وقيودها وحصارها ،هى بالفعل أعظم مهمة فى حينها.. وكان أهل المدينة يستمعون إلى بلاغ السفير، وقد انجذبت قلوبهم إلى زهده، وترفعه، وإخلاصه، وكياسته، وفطنة عقله، فدخلوا فى الإسلام أفواجا، وخلال بضعة شهور ـ يقال تسعة شهور ـ أنجز أول سفير فى الإسلام التكليف والمهمة، وأصبحت المدينة فى شوق لاستقبال رسول الله ﷺ..

....

....

لم تكن مهمة أول سفير فى الإسلام، أمرا ميسورا، وقد واجه فى سبيلها مصاعب وتحديات ومواقف كادت أن تودى بحياته، ولكنه تعامل معها برجاحة عقل، وخلق كريم، ودبلوماسية التحاور مع الآخر، وكما حدث مع سيد بنى الأشهل بالمدينة "أسيد بن خضير" حين فاجأه وهو فى ضيافة "أسعد بن زرارة" ـ شاهرا حربته والغضب يتوهج فى عينيه.. وقال مخاطبا مصعب وأسعد: "ما جاء بكما إلى حيّنا، تسفهان ضعفاءنا؟! اعتزلانا إذا كنتما لا تريدان الخروج من الحيا!!" وابتسم مصعب وقال بهدوء "أولا تجلس فتستمع، فإن رضيت أمرنا قبلته، وإن كرهته كففنا عنك ما تكره"، وقال "أسيد": لقد أنصفت..وجلس يستمع إلى القرآن، وإلى ما يدعو إليه الدين الجديد.. وبعد أن فرغ "مصعب" من حديثه، قال "أسيد": ما أحسن هذا القول وأصدقه.. كيف يصنع من يريد أن يدخل فى هذا الدين ؟ قال مصعب يطهر ثوبه، وبدنه، ويشهد ألا إله إلا الله..

وانتشر خبر إسلام "سيد بنى الأشهل" فى المدينة، وجاء بعده سعد ابن معاذ واستمع لمصعب، وأسلم ثم تلاه سعد بن عباده، ومع إسلام هؤلاء وكل واحد منهم هو سيد قومه ومن زعماء الأوس والخزرج، أقبل أهل المدينة يعلنون إسلامهم.. وفى موسم الحج - بعد بضعة شهور - يتقدم وفد المدينة من سبعين مؤمنا ومؤمنة بقيادة سفير رسول الله ﷺ، إلى مكة للقاء الرسول الكريم ﷺ والاتفاق معه على ترتيبات الهجرة إلى المدينة..

وكان "مصعب الخير" يدرك تماما ثقل الأمانة الملقاة على عاتقه، وخطورة المسئولية التى تم تكليفه بها.. وأنه داعية إلى الله وفى لحظات فاضلة من تاريخ الدعوة.. فأنجز السفير مهمته على أكمل وجه، لتبدأ أولى مراحل بناء الدولة الإسلامية فى المدينة.. ثم تفرغ رضي الله عنه للجهاد فى سبيل الله، وشارك فى معركة بدر، وأستشهد فى معركة أحد وهو يدافع عن موقع رسول الله ﷺ..

....

....

حقا. إنهم رجال جاءوا إلى الحياة فى أوانهم المرتقب، ويومهم الموعود. وأضاءوا الضمير الإنسانى بحقيقة توحيد الرب وتحرير الخلق. وكان معهم برهان المنطق والعقل، وقبل كل هذا كان معهم النور الذى اتبعوه..